

# ما الحداثة

الكاتب: د أحمد محمد زايد



## تعريف الحداثة

نحن الآن أمام مصطلح موهם غاية الإيهام، فبينما نحسب أنه يحمل معنى أصيلاً، وفكرا ذاتياً، إذا به عند التحقيق نجد فكرا مستعاراً مستورداً، ليس لدعاته في بلادنا إلا النقل من لغته إلى العربية.

وبينما نحسبه قضية ذات شأن عظيم إذا به فكر شائع وغثاء فارغ، بل وخطر داهم.. الحداثة يحيط بمعناها غشاء كثيف يحجب الرؤية، ويشتت الذهن، فإذا ما بدا من معناه شيء شعر المرء بالغثيان والصدود، وهكذا الباطل ظلمات بعضها فوق بعض، بينما الحق نور يتلاألأ.

ولعل سيرنا في آفاق هذا البحث يبيّن لنا كثيراً من معنى الحداثة ومقاصد الحداثيين.

## تعريف الحداثة:

أولاً: التعريف اللغوي.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي.

## أولاً: التعريف اللغوي:

في معاجم اللغة العربية في مادة (حدث) نرى أن الحديث: نقىض القديم، والحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس. والحدوث: كون الشيء بعد أن لم يكن ...

واستحدثت خبراً: أي وجدت خبراً جديداً، وتقول: افعل هذا الأمر بحدثه وبحدثه أي: في أوله وطراوته.

ومستحدثات: مولدات ([1]) وحديث السن وغلمان.

وفي اللغات الأجنبية (الإنجليزية والفرنسية) نجد أن الكلمة حداثة لفظ أوربي المنشأ، وفي الإنجليزية لفظان: Modernism وmodernity ومثلهما في الفرنسية، والترجمة العربية لهذين المصطلحين تختلف من حداثة إلى عصرية إلى معاصرة.

فالدكتور محمد مصطفى هدارة يفرق في الترجمة بينهما على النحو التالي:

-1 Modernity تعني المعاصرة والعصرية، وتعني المعاصرة في تعريفه أو تعبيره "إحداث تغيير وتجديد في المفاهيم السائدة، والمتراءكة عبر الأجيال نتيجة تغيير اجتماعي أو فكري أحدثه اختلاف الزمن".

-2 Modernism فحسب تعبيره تعني الحداثة التي هي عنده مذهب أدبي أو نظرية فكرية تدعوه إلى التمرد على الواقع، والانقلاب على القديم الموروث بكل جوانبه ومجالاته. ([2])

وآخرون يختلفون مع هدارة فيجعلون الكلمة Modernism لفظاً دالاً على حب الجديد، كما يدل على العصرية، ثم تطور حتى غداً مصطلحاً له دلالة على مذهب الحداثة المعلوم في الأدب كما سيظهر.

أما الكلمة Modernity فهي تصف الزمان الثاني لهذه الحقبة كما تصف حداثة الأدب بكونه عصرياً. ([3])

فللمصطلح جذر عربي له دلالة من حيث مشتقاته فهو يعني:

الجدة - الشباب - أول الأمر وبدايته - حدوث شيء لم يكن - الخبر إلى غير ذلك من المعاني، لكنه عند الترجمة من اللغة الأجنبية إنجلizية كانت أو فرنسية نجد اللبس والغموض والاضطراب والتفاوت واقعاً ظاهراً، وهذا لا شك - في نظري - ينقل الاضطراب والتفاوت إلى المفهوم والتعریف الاصطلاحي كما سنرى فيما يأتي من البحث إن شاء الله.

## التعريف الاصطلاحي للحداثة:

عند تعريف الحداثة اصطلاحاً نجد أننا أمام كم هائل من التعريفات، وتعريفها بلسان أصحابها يحوطه الغموض واللبس والاضطراب، ولذلك سبب سنينه فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وللحادثة تعريفات عند أهلها الأصليين التي نشأ المصطلح بينهم وفي بيئتهم، وله تعريفات عند دعاتها الذين هم أبواق الغرب في بلادنا، وكذلك عرفها الرافضون لها من المسلمين وغيرهم.

فعلى صعيد اللسان الغربي نجد أن الحداثة عند أهل الغرب تعني: "تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وأمن وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات" ([4]) وهذا التعريف عند (ماركس وإميل دور كايم، وماكس فيبر). وهي عند "جيدن": تتمثل في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي". ([5])

ويعرف الفيلسوف الألماني "كانت" "الحداثة في سياق إجابته عن سؤال ما الأنوار فيقول: "الأنوار أن يخرج الإنسان من حالة الوصاية التي تتمثل في استخدام فكره دون توجيه من غيره". ([6]) وياعتبر أن (كانت) من آباء الحداثة الغربية فإنه يؤكد "في كل أعماله أن شرط التنوير والحداثة هو الحرية.... بمعنى أن العقل يجب أن يتحرر من سلطة المقدس ورجال الكهنوت والكنيسة وأصنام العقل". ([7])

ويعرف (رولان بارت) الحداثة بأنها "انفجار معرفي لم يتوصّل الإنسان المعاصر إلى السيطرة عليه" ([8]) ويصف لنا (جوس أورتيكا كاسيت) الحداثة قائلاً: "إن الحداثة هدم تقدمي لكل القيم الإنسانية التي كانت سائدة في الأدب الرومانسي والطبيعي، وأنها لا تعيد صياغة الشكل فقط بل تأخذ الفن إلى ظلمات الفوضى واليأس" ([9]) والحداثة عند (تورين) باختصار كما يقول في كتابه نقد الحداثة "تستبدل فكرة الله بفكرة العلم، وتقتصر

الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد". ([10]).

وقفة مع هذه التعريفات:

هذه التعريفات بعض من كل مما ورد على ألسنة أهل الحداثة من الغربيين على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم، وهي تشير في جملتها إلى عدة معانٍ تبدو ظاهرة منها:

\* أن الحداثة فكرة لا تقتصر على الجانب الأدبي فقط كما تصور البعض، إنما هي نظرية وفلسفة تعم وتشمل كافة الجوانب الحياتية اجتماعية كانت أم معرفية أم صناعية أم غيرها، وبالتالي فالحداثيون يقدمون تصوراً هداماً لحياة الناس يشمل مختلف نواحيها.

أن الأساس الذي تقوم عليه فكرة الحداثة هو العقل والعقلانية التي تهدر معها كل ما لا يدركه العقل، فالعقل المتحرر من كل سلطان هو معيار أهل الحداثة بل هو السلطان الحاكم على الأشياء.

\* الحداثة معاكسة مع الماضي وانقطاع عنه، فهي انفصال للحدث عن القديم، بل هي ثورة على كل قديم مقدس أو غير مقدس.

\* إنها الحرية المطلقة التي لا يقف في طريقها ضابط، ولا يحكمها شيء.

\* أن الحداثة لا تتحقق إلا بحركة الإنسان حرًا طليقاً دون وصاية عليه من أي جهة.

\* الحداثة فكرة ضد الله والغيب، وفي ذات الوقت لا تتحقق إلا بعزل الدين عن شؤون الحياة، وقصره على الشئون الخاصة بكل فرد.

تعريف الحداثة عند دعاتها في بلاد الإسلام:

سنحظى هنا بتعريفات كثيرة لدى الحداثيين العرب نذكرها ثم نعلق عليها ثم

نعقد مقارنة بين تعريفها عند أهل الغرب، لنخرج من هذه المقارنة بفوائد تظهر لنا كثيرة من الحقائق في هذا البحث.

الحداثة عند أدونيس في كتابه الثابت والتحول: "هي الصراع بين النظام القائم على السلفية، والرغبة العاملة لتغيير هذا النظام" ([11])، ثم يذكر في ذات الكتاب أنه "لا يمكن أن تنهض الحياة العربية، ويبعد الإنسان العربي إذا لم تنهدم البنية التقليدية السائدة للفكر العربي، ويخلص من المبني الديني التقليدي الاتباعي". ([12])

ويرى جابر عصفور أن الحداثة: "البحث المستمر للتعريف على أسرار الكون من خلال التعمق في اكتشاف الطبيعة والسيطرة عليها وتطوير المعرفة بها، ومن ثم الارتقاء الدائم بموضع الإنسان من الأرض، أما سياسياً واجتماعياً فالحداثة تعني الصياغة المتتجدة للمبادئ والأنظمة التي تنتقل بعلاقات المجتمع من مستوى الضرورة إلى الحرية، من الاستغلال إلى العدالة، ومن التبعية إلى الاستقلال ومن الاستهلاك إلى الإنتاج، ومن سطوة القبيلة أو العائلة أو الطائفة إلى الدولة الحديثة ومن الدولة التسلطية إلى الديمقراطية ([13])."

ويرى ناصيف أن الحداثة "هي حالة خروج من التقاليد وحالة تجديد، وتتعدد الحداثة في هذا المعنى بعلاقتها التناقضية مع ما يسمى بالتقليد أو التراث أو الماضي ([14]) وأنقل لها عدة فقرات من مقال لكاتب حداثي يمجد الحداثة ويعمل على تأصيلها في الواقع العربي يقول عن الحداثة:

\* أنها تغيير في كل الاتجاهات لبني الواقع والفكر العربين، إنها اندراج دون أوهام في العالمية والحضارة المادية وأولوياتها، هي إنهاء الخصوصية وهذا التراث.

\* الحداثة تعني ظهور الفردية والوعي الفردي المستقل والاهتمامات الخاصة، وذلك بالقياس إلى المجتمع التقليدي الذي يتميز بالطابع السحري الديني.

\* وهي صيغة انفصال وإبداع فردي وتجديد يسم الظاهرة الاجتماعية، وهي محاولة دائمة لهدم القديم وتدميره. ([15])

\* الحداثة هي حالة ولادة جديدة لعالم يحكمه العقل، وتسوده العقلانية، وبعبارة أخرى الحداثة وضعية اجتماعية وحضارية تجعل من العقل والعقلانية المبدأ الأساس الذي يعتمد في مجال الحياة الشخصية والاجتماعية، وهذا يتضمن وجود حالة رفض لجميع العقائد والتصورات وأشكال التنظيم الاجتماعي التي لا تستند إلى أساس عقلية أو علمية. ([16])

والحداثة عند كمال أبو أديب هي: "وعي الزمان بوصفه حركة تغيير... والحداثة اختراق لهذا السلام مع النفس ومع العالم، وطرح للأسئلة القلقة التي لا تطمح إلى الحصول على إجابات نهائية، بقدر ما يفتنها قلق التساؤل وحمى البحث، والحداثة جرثومة الاكتئاب الدائب القلق المتواتر، إنها حمى الانفتاح". ([17])

ويقول أيضاً: "الحداثة انقطاع معرفي ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث، في كتب ابن خلدون الأربعية، أو في اللغة المؤسساتية، والفكر الديني، وكون الله مركز الوجود، وكون السلطة السياسية مدار النشاط الفني، وكون الفن محاكاة للعالم الخارجي، الحداثة انقطاع، لأن مصادرها المعرفية هي اللغة البكر، والفكر العلماني، وكون الإنسان مركز الوجود، وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية- إذا كان ثمة معرفة يقينية، وكون الفن خلقاً الواقع جديداً..". ([18])

## مقارنة وحقيقة:

بأدئني تأمل ونظر في التعريفات السابقة وما سبقها من تعريفات الغربيين للحداثة يدرك الناظر الاتفاق شبه الكامل في معنى الحداثة بين الفريقين وإن كانت عبارة أرباب الحداثة في بلادنا أشد جرأة وتبجحاً وضللاً، وكلما الفريقين يقر أن الحداثة فكرة ضد الدين، ضد التراث، ضد القديم، وأنها تحرر مطلقاً من القيود الضابطة من دين أو خلق أو حتى عرف اجتماعي قبلته الأذواق

السليمة، هذه صورة مقارنة وجيدة، ومنها نخلص إلى حقيقة تعد من الواضحات التي لا تحتاج إلى دليل ألا وهي: أننا عرفنا مصدر الحداثة التي يتصدق بها دعاتها في بلادنا، إنها الفلسفة والتصورات الغربية التي نشأت في أجواء مخالفة تماماً لأجواءنا الإسلامية، وفي ظروف ولأسباب تخالف ظروفنا وأحوالنا كامة مسلمة تملك تصورات ربانية عن الكون والحياة، ومن هنا فنحن أمام فكرة لقيطة، ونظرية غريبة ملحدة غاية الجدة فيها أنها مترجمة لبست ثوباً عربياً أو حاولت.

---

#### الإشارات المرجعية:

- ([1]) الصاحح في اللغة والعلوم - نديم مرعشلي – أسامة مرعشلي تقديم الشيخ/ عبد الله العلaili ص 315 - ط الأولى – دار الحضارة العربية – بيروت- 1975م -، ومختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي ص 11.- ط مكتبة لبنان - 1999م- إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان.
- ([2]) انظر / نظرية تقويم الحداثة د/ عدنان علي رضا النحوی ص 26- 3. ط الأولى – دار النحوی للنشر والتوزیع ط 1992م – نقلًا عن / مجلة الحرس الوطني ص 1.3 عدد (86) ربيع آخر 141.هـ - نوفمبر 1989م.
- ([3]) السابق.
- ([4]) "مقاريات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة" بحث للكاتب الحداثي / علي وطفة- ص 2- مجلة فكر ونقد - عدد (34) من موقع محمد عابد الجابري وتوجد منها نسخة إلكترونية في موقع محمد عابد الجابري [www.aljabriabd.com](http://www.aljabriabd.com)
- ([5]) السابق ص 1.
- ([6]) السابق ص 11.
- ([7]) السابق ص 11.
- ([8]) تقويم نظرية الحداثة د/ عدنان علي رضا النحوی - ص 35 - ط ا

- لأولى 1412هـ - 1992م - دار النحوي للنشر والتوزيع - السعودية.  
([9]) السابق ص 35.
- ([10]) مقاريات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة ص 16 سابق.
- ([11]) الحداثة في ميزان الإسلام د/ عوض القرني - ص 8 - ط أولى - دار الأندلس الخضراء - السعودية - نقلًا عن الثابت والمت حول لأدونيس.
- ([12]) تقويم نظرية الحداثة - ص 35 - نقلًا عن مجلة الحرث الوطني - محمد مصطفى هدارة.
- ([13]) مقارنة بين مفهوم الحداثة وما بعد الحداثة ص 3 .
- ([14]) ([14]) السابق ص 3.
- ([15]) ([15]) السابق ص 8.
- ([16]) ([16]) السابق ص 15,16.
- ([17]) تقويم نظرية الحداثة د/ النحوي ص (38) نقلًا عن مجلة فصول ص (35) - عدد (3) - سنة 1984 م - المجلد (4).
- ([18]) ([18]) السابق ص 39.

المصدر:

<http://www.saaid.net/mktarat/almani/70.htm>

الكلمات المفتاحية:

#الحداثة

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.